المقدمة

شغل الاسلام السياسي موضع اهتمام الباحثين والمثقفين والدراسات الأكاديمية ومراكز البحوث، وشغل المد الإسلامي والعودة إلى الدين والأصول الإسلامية المراقبين والإعلاميين، وأصبح الاسلام السياسي حديث الساعة، واظهرت العديد من الأطروحات الفكرية التي جسدت الاسلام السياسي بديلاً للخطر الشيوعي، وصورت الاسلام على أنه الخطر الجديد الذي يجب على الغرب بصورة عامة، وأمريكا بصورة خاصة مواجهته وإعداد العدة للتصدي له.

وبرزت في الفكر الأمريكي المعاصر نظريات سياسية وأفكار ناقشت في طياتها الإسلام السياسي، وأظهرت انه يشكل خطراً وتهديداً على الحضارة الغربية ومنافس قوي لمركزية الذات الاوربية. واهم هذه الاطروحات(نهاية التاريخ) و(صدام الحضارات) اللذان هما صلب اهتمام هذه الدراسة.

- فرضية الدراسة: تنطلق رؤية المفكرين الامريكيين من تطورات متراكمة تاريخياً وثقافياً للإسلام السياسي، وهذه الرؤى تنحصر في الخوف من الآخر، والبحث الدائم عن العدو الذي يمكن للغرب أن يرى نفسه من خلاله.
- منهجية الدراسة : يمكن القول أن الدراسة استخدمت ثلاث مناهج على التوالي مع بعض التداخل، وهي: المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج البنيوي(النظمي).
- هيكلية الدراسة: تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاث فصول الأول منها يمثل (إطارا عاماً) أو مدخلاً لفهم ماهية الاسلام السياسي واشكالية العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاسلام السياسي، الثاني دراسة تحليلية لأطروحة "نهاية التاريخ" وموقفها من الإسلام السياسي وأخيراً "صدام الحضارات" وما تحويه هذه الأطروحة من مواقف ورؤى حيال الإسلام السياسي.

الفصل الأول

ماهية الاسلام السياسي وإشكالية العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية

أولا: مفهوم الإسلام السياسي

١. لقد بدأت إرهاصات هذا التيار بعد الصحوة الإسلامية التي قادها جمال الدين الأفغاني وتلامذته كالشيخ (محمد عبده) و(عبد الرحمن الكواكبي) وأمثالهم.فكما نعلم إن الأفغاني لم يكن ينادي بالدولة الإسلامية أو ما نعبر عنه بالإسلام السياسي الذي تتخذه الأحزاب الإسلامية كأيديولوجية .بل كان يدعو إلى نظام الخلافة العثمانية ويؤيدها مع الدعوة إلى بعض الإصلاحات وأهمها دعوته إلى وحدة المسلمين وضرورة تفعيل القدرات الذاتية للمسلمين وتحشيد طاقاتهم للوقوف بوجه الاستعمار(١).

وجهت ظاهرة صعود الإسلام السياسي وتبلور أدواره بشكل كبير منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين وقوة هذه الأدوار التي يمارسها في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية الواسعة نظر الباحثين الوطنيين والأجانب على السواء،لتحليلها والوقوف على أسبابها .ومنذ ذلك الحين تمخضت هذه الاهتمامات عن سيل وافر من الدراسات التي تناولت قوى الإسلام السياسي في المجتمعات العربية بالدراسة فأشارت إليها بوصفها من أهم القوى السياسية ذات القواعد الاجتماعية المرشحة لقيادة حركة التغيير الاجتماعي وفقا لتصوراتها السياسية والأيديولوجية.

والناظر للمنتج العلمي خلال العقدين الأخيرين على الصعيد الداخلي والخارجي بشان قوى الإسلام السياسي ،يجد إن بؤر الاهتمام والدراسة لا يمكن ان تخرج عن محاولات رصد أسباب نشأة الظاهرة وتبلورها ،واهم خصائصها ثم كذلك محاولات لرصد أهم معالم البني والهياكل التنظيمية لهذه الجماعات ،والأصول الاجتماعية لقادتها وأعضاؤها،وكذا أهم أفكارها وتصوراتها الإيديولوجية للنظام القائم وتشخيصها لأسباب الاعتلال والضعف،ثم أهم الحلول والبدائل التي تطرحها إما لاصلاح النظام القائم أو لتغييره كليا(٢).

يثار جدل واسع النطاق على مستوى المفكرين والأكاديميين والمثقفين حول تحديد مصطلحات عديدة، والاسلام السياسي مثله كمثل تلك المصطلحات وما يثار حولها من آراء ومناقشات، ونكاد لا نجد تعريفا جامعا ومانعا للإسلام السياسي، وهناك تحفظات كثيرة لدى الإسلاميين حول تسميات معينة مثل الإحياء، الإصلاح،النهضة الانبعاث، التجديد، لكونها تعكس

تصنيفات الغرب "مفاهيم غربية"،[٣] لذلك قد تترادف هذه التسميات ومفهوم الإسلام السياسي.

هنالك من يرى إن الاسلام السياسي(هو محاولة من اجل إقحام الاسلام في خضم الصراع على السلطة من قبل بعض الحركات التي تنادي بالإسلام أو إنها حركة تعبر عن مصالح وأهداف لشرائح وطبقات اجتماعية استخدمت الدين "كأيديولوجية" خاصة بها تبحث من خلالها عن مكان لها في الخارطة السياسية.(٤)

نجد في هذا التعريف تداخلاً بين النظرية ومصالح حركات دينية، بعبارة أخرى محاولة توظيف الاسلام من اجل الوصول إلى السلطة السياسية، وهذا خلاف ما تواتر من مأثورات فكرية إسلامية تعتبر موضوع السلطة من أولويات اهتماماتها.

وهناك من يعرف الإسلام السياسي بدافع الهدف الرئيسي للحركات الإسلامية الذي يمثل قيام دولة إسلامية على أساس انه(الحركات التي تحمل في أهدافها أو طموحاتها إقامة الدولة الإسلامية بغض النظر من الاختلافات الكامنة بينها). (٥) ومن التعارف الأخرى التي تناولت مفهوم الاسلام السياسي انه (التأكيد على إن الاسلام نظرية في السياسة والدولة تشتمل على مفاهيم عامة للفعالية السياسية والاجتماعية).(٦)

إن أكثر المستخدمين لمصطلح الاسلام السياسي أرادوا من ورائه وصف الحركات الإسلامية التي تسعى لإقامة الدولة الإسلامية في مواجهة العلمانية(٧).

إذن في ضوء ما تقدم فأن الاسلام السياسي – الوارد في هذه الدراسة – هو مصطلح ظهر ليهتم بالجوانب الفكرية السياسية دون غيرها من الجوانب الفكرية الأخرى في الفكر الإسلامي، فهو يحاول إعطاء أطروحات فكرية نظرية وبرامج عمل مستنبطة من الفكر الإسلامي حول القضايا السياسية.

ثانياً:إشكالية العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية والاسلام السياسي.

الاسلام دين سماوي له ثقافته وعقيدته وأفكاره، ويؤلف كياناً عالمياً ثقافياً واجتماعياً متنامياً على مر الزمان، وهو لا ينحصر في دولة واحدة أو قارة واحدة بل امتد ليشمل أجزاء الكرة الأرضية كافة، وأمريكا دولة علمانية، وتضم في طيات كيانها الاجتماعي ديانات متعددة بتعدد القوميات فيها بالإضافة إلى انها ظهرت إلى الوجود في الربع الأخير من القرن

الثامن عشر، وهي تقف شامخة في المجالات الأربعة الحاسمة للنفوذ العالمي، عسكرياً واقتصادياً وتكنولوجيا وحضارياً، وبسبب اجتماع هذه العوامل الأربعة تصبح أمريكا القوة العالمية العظمى الوحيدة والشاملة.(٨)

إذن ماهي الإشكالية في العلاقة بين ديناً تعتنقه دول شتى عديدة وبين دولة واحدة تحارب هذا الدين؟؟.

بعد أن انشغل العالم لفترة طويلة في القرن العشرين بالجغرافية السياسية والإستراتيجية... بدأ قبل سنوات الاهتمام بالأطر الثقافية وتأثيرها في الحرب والسلام في العالم،[٩] وان لنظرة الدولة بكل مستوياتها السياسية والاقتصادية والثقافية دوراً وتأثيراً في تشكيل علاقاتها مع دولة أو كيان أو مجتمع آخر، لذلك هناك إشكالية في نظرة أمريكا إلى المسلمين وفي نظرة المسلمين إلى أمريكا.[١٠]

لقد جاء معظم الامريكيين من أوربا وحملوا معهم الثقافة والمعتقدات والمشاعر الجماعية والرواسب الفكرية الاوربية، ومن هذه الرواسب ذكرى الحروب بين الشرق المسلم والغرب الأوربي المسيحي، والكراهية للمسلمين والخوف والنفور منهم كقوة غريبة عدوة،[١١] إذن لقد ورث الأمريكيون عن أوربا المسيحية صورة شبح الاسلام بوصفه ديناً مطبوعاً على الطغيان، ويربي الاضطهاد والركود دينياً وسياسياً.[١٢]

يمثل الاسلام في نظر الكثير من الامريكيين ثقافة عدائية وخطرة على مصالحهم وقيمهم الثقافية، وتتجذر معظم آراء الامريكيين عن المسلمين إلى حد ما في الأصولية الدينية للولايات المتحدة.[١٣] ولربما تعزى هذه الآراء ايضاً الى نزاع تاريخي بين المسيحيين والمسلمين، أي إلى مجابهة تنتقل عبر الأجيال بواسطة الآثار الأدبية، المأثورات الشعبية، وسائل الإعلام الجماهيرية واللغة الأكاديمية المرئية.(١٤)

ففي العصور القديمة كانت الحروب والغزوات والمذابح تثار باسم الدين وتخلق مبرراتها بصياغات وحوافز دينية، إذ حارب المسلمون الإمبراطورية البيزنطية والمسيحية واجلوها عن البلاد المسلمة وترسب ذلك في النفوس والمشاعر وانتقل من جيل إلى آخر.

(صحيح إن الخطر العسكري للعالم الإسلامي محي من الوجود مع نهاية القرن السابع عشر، لكن التحدي الديني والفكري الذي يشكله الاسلام مازال مستحوذاً على مخيلة كثير من الغرب، فالمدركات الحسية الثقافية

لمعظم الأمريكيين بشأن العرب المسلمين تمثلهم على أنهم خطيرين وليسوا أهلاً للثقة، همجيون وبدائيون). (١٥)
لذلك نجد بعض الكتب المدرسية في أمريكا تصف الأصولية الإسلامية بأنها"معادية للحداثة ومناوئة للعلمانية وإنها حركات معادية للغرب وهي لذلك أيديولوجية متخلفة !! " وكذلك تربط هذه الكتب المدرسية بين الأصولية الإسلامية والإرهاب لذلك تتكون صورة سيئة عن الاسلام في الذهنية الأمريكية.(١٦)

وهنالك العديد من استطلاعات الرأي على نطاق قومي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية،أعطت جميعها نتائج على اعتبار إن الإسلام ثقافة عدائية ومتعصبة ومعادية للديمقراطية ويمثل خطراً على المصالح الأمريكية.(١٧)
إذن نخلص مما تقدم بأن البيئة الفكرية الأمريكية متأثرة بصورة من العداء إلى الإسلام والمسلمين وذلك بسبب الرواسب التاريخية والثقافية التي تصور الاسلام على انه دين إرهابي يجاهر بالعداء والضغينة للولايات المتحدة الأمريكية.

لقد برز التهديد الإسلامي للمصالح الأمريكية بقوة مع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وشيوع مبدأ تصدير الثورة الإسلامية، وفي تلك الفترة تصاعدت وتيرة العداء بين الإسلاميين والولايات المتحدة الأمريكية.(١٨) إذ سلطت الحالة الإيرانية قدراً كبيراً من الضوء على مواقف المسئولين الأمريكيين من الإسلاميين في أماكن أخرى، ولا غرابة في إن التجربة قد أثرت وانعكست إلى حد بعيد في الرأي العام الأمريكي حول طبيعة الإسلام الأصولي التي تتميز بالعنف والعداء لأمريكا .(١٩)

لقد رسمت الثورة الإسلامية الإيرانية صورة الإسلامي الثوري المعارض للنموذج الأمريكي وكونت إدراك لدى النخبة السياسية والرأي العام الأمريكي بأن الإسلام السياسي مجاهر بالعداء للولايات المتحدة الأمريكية.
وبانتهاء الحرب الباردة فقدت السياسة الخارجية الأمريكية المحفز الاستراتيجي الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي ولذلك عندما كانت الحرب الباردة تضع أوزارها في نهاية الثمانينيات قال: " كيورجي ارباتوف " مستشار "غورباتشوف" الرئيس السابق للاتحاد السوفيتي في خطاب وجهه

للساسة الأمريكيين"إننا نلحق بكم ضرراً كبير– إذ إننا نحرمكم من وجود عدو لكم". (٢٠)

ويرى"غسان سلامة" : " اليوم وبعد انتهاء الحرب الباردة اكتشف الإستراتيجيون الغربيون عدواً جديداً للغرب" هذا العدو هو "الاسلام". (٢١) وفي ضوء تلك المتغيرات في العالم والبحث عن (عدو جديد) اتجه عدد من الباحثين الغربيين بصورة عامة، والأمريكيون بصورة خاصة للتعبير على إن (العدو الجديد للولايات المتحدة) المحتمل للغرب استراتيجياً وثقافياً يتمثل فيما أطلق عليه " الاسلام الراديكالي" أو " الاسلام الأصولي".(٢٢)

ومن بين النماذج التي أكدت على الاسلام السياسي باعتباره عدو جديد كتاب " ريتشارد نيكسون" (الفرصة السانحة) وفيه يحذر أمريكا من (خطر الاسلام) الذي ينبغي – كما يقول نيكسون – أن تتفرغ له أمريكا بعد أن فرغت من المد الشيوعي.(٢٣)

لقد تحول اهتمام الصناعة الفكرية الهائلة من محاربة(إمبراطورية الشر) (الخطر الأحمر) إلى التحذيرات المفزعة بشأن(الخطر الأخضر الجديد)، وقد بدأ المفكرون والباحثون بطرح الأفكار والنظريات التي تضع الغرب المسيحي في مواجهة العالم الإسلامي. (٢٤)

إذن في ضوء ما تقدم يتضح لنا بأن هنالك ارث تأريخي، ثقافي، سياسي، ساهم في تكوين الرأي العام الامريكي بشأن الإسلام، وبدا المنظرون والمفكرون الأمريكيون في استغلال هذا الإرث من اجل تصوير الإسلام السياسي على انه(الخطر الجديد) الذي حل محل(الخطر الشيوعي).

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لأطروحة نهاية التاريخ وموقفها من الاسلام السياسي.

برزت بعد نهاية الحرب الباردة أطروحات متعددة تسعى لفهم طبيعة العلاقات الدولية وإعادة توجيه مسار التأريخ العالمي، ومن هذه الأطروحات(نهاية التأريخ) ،إذ قدم (فرانسيس فوكوياما)هذه الأطروحة محاولة منه لتفسير الواقع الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة،وكانت تلك الأطروحة في البداية مقالاً نشر في مجلة (the national interest) الأمريكية في صيف عام١٩٨٩ ،حاول فيه معالجة التوافق الكامن في النظام(الرأسمالي الليبرالي) كنظام حكم بداً يزحف على بقية أجزاء العالم في الآونة الأخيرة، وكيف تأكد هذا

بانتصاراته المتتالية على الإيديولوجيات الأخرى كالملكية الوراثية ، والفاشية، وأخيرا الشيوعية . (٢٥)

ثم تطورت المقالة إلى كتاب حمل عنوان (the end history and last man) (نهاية التاريخ والرجل الأخير) ، ودافع (فوكوياما) في مقدمته عن فكرته بأن أطروحة(نهاية التاريخ) ليس بقصد توقف الاستمرارية وإنما توقف التاريخ كون البشرية تتطور بشكل متصل ومتماسك ، وهذا التوقف المطرد_كما يرى الفيلسوف الألماني (هيكل) لا يسير إلى مالانهاية ،وإنما هو محكوم بتوصل الإنسان إلى شكل محدد لمجتمعه يرضي احتياجاته الأساسية ، وعندما يتم التوصل إلى هذا الشكل يتوقف التطور أو بمعنى آخر يتوقف التاريخ – حسب رؤية فوكوياما – هو في آخر مرحلة يتجلى في النظام الرأسمالي .(٢٦)

ويورد في سبيل إثبات ما تقدم بعض البراهين من أهمها :- (٢٧)

١- اضمحلال الشيوعية وانهزامها كأيديولوجية مضادة ومنافسة .

٢- الليبرالية أكثر قدرة على توفير الرفاهية الاجتماعية على عكس النموذج الاشتراكي .

٣- الإيديولوجيات الأخرى غير الغربية لا تستحق الذكر!! لأنها لا تستطيع أن تنافس الليبرالية في مضمار أو أن تتحداها إلا عن طريق العنف !!

يمكن أن نقول بأن أفكار وتصورات الفيلسوف الألماني (فردريك هيكل) قد شكلت محور كتاب(نهاية التاريخ) الذي سبق وان قسم التاريخ الكوني بعد أن ربطه بالعقل وان (فوكوياما) قد تبنى المسار نفسه ليصل إلى(نهاية التاريخ) التي وصل إليها (هيكل) ولكن في هذه المرة يبلغ التاريخ نهايته في انتصار الغرب الرأسمالي الليبرالي على الشرق الاشتراكي المستند الى الأيديولوجية الماركسية .(٢٨)

ويلاحظ على (نهاية التاريخ) كذلك بأنها تؤكد على أن الديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها الاقتصادية،السياسية بدأت تزحف على بقية أجزاء العالم بعد تراجع جميع الإيديولوجيات الأخرى .(أذ تقدم نهاية التاريخ قائمة طويلة من تطور الديمقراطية الليبرالية وانتشارها في العالم ما بين عام ١٧٩٠ وحتى عام ١٩٩٠ ، وتطورها على المستوى العالمي) . (٢٩)

أذن نهاية التاريخ تعني الانتصار للغرب ، نموذجاً وحضارة وقوة تاريخية ، وفي هذه الحالة يكون المضمون التاريخي لما نعيشه في حقبتنا

الراهنة وعالمنا جميعاً هو (غربنة) العالم المتسارعة وزوال الصراع الأيديولوجي والدخول في حقبة من العالمية الساكنة .(٣٠)

أن نقطة انطلاق (فوكوياما) تذهب إلى ما يمكن أن يسمى بقدر من المفارقة "التفسير المادي للتاريخ في صورته الرأسمالية" أذ يرى أنه يمكن تفسير التطور في التاريخ جزئياً بناءاً على أساس اقتصادي ، أي أن العمل الاقتصادي هو احد المحركات الرئيسة في التطور التاريخي، ولكن هذا التطور يؤدي إلى الرأسمالية بدلاً من الاشتراكية كنتيجة نهائية.(٣١)

إن ما يهمنا من أطروحة (نهاية التأريخ) هو موقفها من الاسلام السياسي إذ يرى (فوكاياما) في (الفصل الرابع- الثروات التحررية تجتاح العالم) بأنه (يمكن القول انه ليس هناك أيديولوجية ما يمكن إن تحل محل التحدي الديمقراطي التقدمي.(٣٢)

ويضيف (لكن يبدو انه من الممكن استثناء الاسلام- مبدئياً على الاقل – من هذا الحكم العام حول الأيديولوجيات المنافسة للديمقراطية، فالإسلام يشكل أيديولوجية متجانسة ومنتظمة).(٣٣) وكذلك يرى(فوكوياما) ان الإسلام يتعارض مع الديمقراطية الليبرالية، وتمكن الإسلام من هزم الديمقراطية الليبرالية في عدد كبير من دول العالم الإسلامي، وشكل تهديداً كبيرا للممارسات الليبرالية. (٣٤)

ويعطي مثالاً للتحدي الإسلامي للغرب"شهدت نهاية الحرب الباردة في أوربا تحدياً سافراً للغرب من قبل العراق الذي نستطيع القول بان الإسلام قد شكل فيه عاملا بارزا" (٣٥).

وهنا لنا وقفة لتوضيح إن العراق الذي دخل حرب الخليج الثانية لم يكن قد دخلها من منطلق إسلامي ولم يعتمد الدين الإسلامي في تقويمه الأيديولوجي، لذلك لا يمكن بناء فرضية على أسس خاطئة ومحاولة إعطاء مثال خاطئ وبرهنتها ايضاً، لأنها سوف تؤدي إلى نتيجة خاطئة في النهاية.

أما بالنسبة إلى أن الاسلام قد تحدى الديمقراطية الليبرالية، فيمكن القول إن الاسلام كعقيدة لا يتعارض مع الديمقراطية، إذ نجد دول إسلامية تعتمد الاسلام كأيديولوجية وممارسة تمارس الديمقراطية، ولنا في إيران مثال على ذلك.

ويرى (فوكوياما) انه على الرغم من الحديث عن جاذبية الاسلام العالمية إلا انه تبقى الحقيقة الواضحة والأكيدة، هي أن هذا الدين ليس له أي جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية، فقد انتهت أيام الغزوات الثقافية

والإسلامية، وقد يكسب الاسلام أحيانا أتباعا ساخطين على أوضاع معينة (٣٦). ويعتقد انه بينما يوجد حوالي بليون من البشر ذوي ثقافة إسلامية- أي حوالي خمس العالم- إلا أنهم لا يستطيعون تحدي الديمقراطية الحرة في عقر دارها على المستوى الفكري أو النظري.(٣٧) ويضيف قائلاً:" في الواقع انه بات ممكناً اختراق العالم الإسلامي- على المدى الطويل- بالأفكار الليبرالية، لأن مثل هذه الأفكار قد جذبت العديد من المسلمين الأقوياء خلال القرن ونصف القرن الماضيين". (٣٨) ويرى أيضا إن سبب إحياء الأصولية الإسلامية هو التهديد الذي أحست به هذه المجتمعات الإسلامية التقليدية بسبب اختلافها مع القيم والأفكار الغربية الليبرالية.(٣٩)

ويرى (فوكوياما) في (الفصل السابع – البرابرة لن يدقوا الأبواب) أن الاسلام يرفض عمداً التكنولوجيا والمجتمع الصناعي كما في(آية الله الخميني والأصولية الإسلامية) .(٤٠) وهو يخطيء في شيء من ذلك لان الأصوليين الإسلاميين لم يرفضوا التكنولوجيا بل وظفوها في أنشطتهم كلها.

كذلك يرى بأن الرعب الذي سببه العلم الحديث قد يؤدي إلى إحياء أديان معادية للتكنولوجيا مثل "الاميش "Amish" و"الميمنونيت""Memnonites" وبالتالي يؤدي إلى وضع عوائق أخلاقية وعاطفية أمام خلق وابتكار تكنولوجيا جديدة وفعالة .(٤١)

ويعتقد(فوكوياما) أن الدين بحد ذاته لا يخلق مجتمعات حرة ، فالإسلام من الصعب أن يتكيف مع المذهب الليبرالي والاعتراف بالحقوق العالمية ، وخاصة حرية الفكر والديانة ، ويضيف بأنه ربما من المدهش أن تركيا هي الدولة الديمقراطية الحرة الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر، إذ أنها كانت الدولة الوحيدة التي نفضت عن نفسها إرثها الإسلامي وهي في سبيل إقامة مجتمع علماني في فترة مبكرة من القرن العشرين.(٤٢)

يمكن القول بأن(فوكوياما) قد حاول (اختراق المعرفة التاريخية بواسطة الفلسفة التاريخية) لإثبات أن الديمقراطية الليبرالية تعد نهاية التأريخ.(٤٣)

وان جوهر الاعتراض إسلاميا على أطروحة نهاية التأريخ يتمثل بأن الدين الإسلامي والديانات الأخرى- تطرح تصورات ورؤى لما ينبغي ان يكون عليه المجتمع البشري، وليس نهاية التاريخ بوصول المجتمع البشري إلى

النظـام الليبرالـي، وان تلـك الأطروحـة كانـت تهـدف بالأسـاس الـى تمثيـل التوجهات السياسية الخارجية الأمريكية نحو فرض الديمقراطية الليبرالية.

كـذلك هنـاك اعتـراض أساسـي علـى مـا قدمـه فوكوياما مـن اتهـام للإسلام بأنه لا يخلق مجتمع حر وانه ضد حرية الفكر ،حيث يقول سبحانه وتعالى"كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون"(*) وهذه الآيات تخطيء تفكير فوكوياما فالإسلام يرى أن الفكر والتحرر الفكري هما منطلق الحرية فعندما يمتلك الإنسان حريته الفكرية وينطلق العقل حرا مفكرا تنطلق الإرادة والاختيار بحرية تامة وعندئذ تكتمل الحرية الداخلية ،حرية العقل والإرادة والاختيار لتأخذ طريقها إلى العالم الخارجي.

الإنسان في الإسلام هو حر مختار غير مجبر في أصل فطرته ولذلك يتحمل مسؤولية أفعاله واختياره وهذا يدلل على عدل الله سبحانه وتعالى.

العقل في الإسلام كما أشار القران دليل الإرادة وكل شيء في السلوك الإنساني يجب أن يخضع لحكم العقل وحسابه وتبدأ عقيدة التوحيد بالفكر وحرية التفكير العلمي وان لا يحكم العقل غير قوانين العلم وأنظمة التفكير المنهجي ونتائج البرهان والاستدلال العلمي.

القران الكريم ثبت حرية التفكير وجعل التفكير فريضة على الإنسان وهاجم من يعطل عقله عن التفكير والنظر في القضايا الفكرية والعلمية تفكيرا علميا يقوم على البرهان ،قال تعالى"قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير" (**)، وقوله تعالى"أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها"(***). كل هذه الآيات فيها تأكيد على حرية العقل ولا يرضى القران أن يشل التفكير عند التعامل معه.

الإيمان في الإسلام يجب أن يستند إلى رؤية عقلية بعيدة عن الضغط والإرهاب الفكريين لأنهما لا يوصلان إلى المعرفة الصحيحة إنما بفرض العقيدة فرضا قوله تعالى "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"(****) "لست عليهم بمصيطر"(*****) وقوله"وما أنت عليهم بجبار"(******) .

إذن الإسلام يجعل الإنسان حرا في تقرير مصيره وهو مسؤول عن اختياره ومحاسب عليه .

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية هو ابرز مصاديق حرية الفكر واحترام دور العقل .والحرية الفكرية مبدأ أساس في الإسلام قال تعالى"قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"(*******) .

ختاماً إذا ما أمعنا النظر جيداً في الآراء التي جاء بها (فوكوياما) فإننا يمكن ان نتوصل إلى حقيقة مفادها إن الصراع الإسلامي مع الديمقراطية الليبرالية من وجهة نظر(فوكوياما) هو في وضع الاستمرارية ، وهو ما أكد عليه (فوكوياما) بعد أحداث (١١ –أيلول- ٢٠٠١) إذ يرى (أن التحدي الذي تواجهه الولايات المتحدة اليوم أكثر من مجرد قتال مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، إذ أن بحر الإسلامية – الفاشية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحدياً آيديولوجياً) .(٤٤) ، وان(فوكوياما) قد رأى في الإسلام أيديولوجية متجانسة بسبب دلالية القوية في الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الاجتماعية، وأنه يتحدى الديمقراطية الليبرالية، ولكن في النتيجة سوف تستطيع الديمقراطية الليبرالية أن تفرض نفسها على المجتمعات الإسلامية من خلال الأفكار الليبرالية، على الرغم من أن الإسلام يشكل تحدياً سافراً لها، وهذا بدوره سيؤدي إلى إحياء الأصولية الإسلامية.

الفصل الثالث

دراسة تحليلية لأطروحة صدام الحضارات وموقفها من الإسلام السياسي

من النظريات والاطاريح الأخرى التي حاولت أن تفسر طبيعة العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، أطروحة (صدام الحضارات: صنع النظام العالمي)(The Clash of Civilization : the remaking of world order) التي أثارت جدلا واسع النطاق تراوح ما بين مؤيد ومعارض وآخر يؤيد جانب ويعارض آخر، وهناك من شكك في الدوافع والغايات من وراء طرحها.

ويرى (محمد عابد الجابري) : "إن أطروحة صدام الحضارات القصد منها إزاحة فكرة نهاية التاريخ من مسرح الاهتمام، لأنها – نهاية التاريخ – تتحدث عن الماضي وتبعث على الاطمئنان على مستقبل أمريكا، أما أطروحة (صدام الحضارات) فهي تتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة والحرب وبالتالي تبرر تخصيص مبالغ، هائلة للدفاع في ميزانية الولايات المتحدة).(٤٥)

طرح (صاموئيل هنتغتون) في صيف عام ١٩٩٣ مقالاً بعنوان(صدام الحضارات) نشر في مجلة(Foreign Affairs) وأثار المقال جدلاً واسعاً أستمر سنوات لم يثار حول أي مقال نشر في هذه المجلة منذ عام(١٩٤٠)– كما قال محررو المجلة وتوالت وسائل الإعلام والأوساط الجامعية ومراكز الدراسات في أمريكا وأوربا تناقش وتجادل هذه الأطروحة وأصبحت حديث الساعة ودافع عنها(هنتغتون) في مقالات ولقاءات ومؤتمرات، ثم تحول المقال إلى كتاب في عام ١٩٩٦ حمل عنوان(صدام الحضارات... أعادة صنع النظام العالمي) (The Clash of Civilization: the Remaking of world order)، وادعى(هنتغتون)، أن الغرض من الكتاب هو تقديم إجابة اشمل وأعمق موثقة عن سؤال المقال، ومحاولة تفصيل وتنقيح وإضافة ووصف أحيانا الأفكار التي جاءت بالمقال وتطوير أفكار أخرى كثيرة وتغطية موضوعات عديدة لم يتناولها أو ربما تناولها على نحو سريع.(٤٦)

بصورة عامة يتكون الكتاب من خمسة أقسام، القسم الأول يناقش صورة النظام الدولي السائد بشكل وصفي، القسم الثاني يركز فيه "هنتغتون" على التحدي الذي تواجهه الحضارة الغربية، أما القسم الثالث فيتناول ظهور النظام العالمي الجديد على أساس حضاري، والقسم الرابع التحدي الذي تشكله الحضارة الإسلامية والصينية للحضارة الغربية ، وهذا هو جوهر اهتمام بحثنا،أما القسم الخامس فيستعرض استمرار الحياة في الغرب والذي يعتمد على الأمريكيين وهم يعيدون تأكيد هويتهم الغربية.

انطلق "هنتغتون" من فرضية مفادها(افتراضي هو أن المحور الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد ، لن يكون مصدراً أيديولوجيا أو اقتصادياً في المقام الاول ، الانقسامات الكبيرة بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للنزاع سيكون ثقافياً ، وستبقى الأمم هي أقوى الفاعلين في الشؤون العالمية، لكن النزاعات الرئيسة في السياسات العالمية ستحدث بين أمم وجماعات ذات حضارة مختلفة ويسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ،ذلك ان الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل) .(٤٧)

وطرح "هنتغتون " هذه الفرضية من اجل الوصول إلى أن التصادم بين الحضارات سوف يحل محل الحرب الباردة ، ويعتبر أن الصراع بين

الحضارات هو آخر نمط في تطور الصراعات العالمية "٤٨" ثم يتساءل " هنتغتون " . لماذا ستتصادم الحضارات ؟ويجيب بالاتي :"٤٩"

١-الفروق بين الحضارات ليست فروقا حقيقية فحسب بل فروق أساسية وولدت على الاختلافات بين الحضارات أطول النزاعات وأكثرها عنفاً .

٢-إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تعزز الوعي بالحضارة لدى الناس ، الأمر الذي عزز بدوره الاختلافات والعداوات التي تضرب أو يعتقد إنها تضرب جذورها في أعماق التاريخ .

٣-إن عمليات التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية الذاتية ، الأمر الذي أدى إلى تحريك الدين وظهور الأصوليات بمختلف أشكالها.

وبناءاً على هذه الأسباب فان "هنتغتون" ينتهي بالإقرار إلى الصراع الحتمي أو (الصراع الحضاري) مابين الإسلام والغرب زاعما بان النزاع الممتد على طول خط الصراع بين الحضارة الغربية والإسلامية إلى ما قبل ألف وثلاثمائة عام ما زال ممتداً ، وان فتور هذا الصدام البالغ في القدم بين الغرب والإسلام أمر بعيد الاحتمال ."٥٠"

في الواقع إن المدخل الوحيد الذي يمكن من خلاله أن نفهم دواعي ومسوغات "هنتغتون" في طرح (صدام الحضارات) هو التأكيد على وجود عدو جديد يمكن للغرب من خلاله أن يرى نفسه ويوحد صفوفه لمواجهته، ويخلق دعم اجتماعي وسياسي من اجل محاربة هذا العدو إذ يؤكد" هنتغتون" في مقالة أخرى بأنه لولا الحرب الباردة لضعفت الأسباب الموجبة إلى تحقيق العديد من أهداف السياسة الخارجية الأمريكية ، " إذا لم تكن هناك إمبراطورية شر تهدد فما معنى أن تكون أمريكا وماذا سيحصل في المصالح القومية الأمريكية؟ "٥١".

لذلك نجد أن أطروحة (صدام الحضارات) تبلورت في مناخ دولي يغلب عليه القلق والاضطراب بفعل الاضطراب الاستراتيجي العميق الذي خلفته نهاية الحرب الباردة ، وفي هذه الفترة اكتشف العديد من الاستراتيجيين الغربيين بان العدو الجديد للغرب هو الإسلام .

إن الغرب ومنذ أن جعل مركزيته هي المعيار في الفكر والوجود وهو يحاول (اختراع العدو) أو (صنعه) ، ويحاول ألا يرى الكون إلا من خلال أضداد مزدوجة يحدد كل ضد فيها الآخر ويمنحه هويته ."٥٢"

يستشهد "هنتغتون" لدعم توكيداته في حرب الخليج الثانية إذ ساندت الحركات الأصولية الإسلامية في كل مكان العراق بدلا من حكومتي الكويت والسعودية المدعومتين من الغرب وحاول مؤيدو العراق أن يعرفوا الحرب كحرب بين الحضارات ، قال (سفر الحوالي) عميد كلية الدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى في مكة في شريط موزع بشكل واسع :(إنها – حرب الخليج – ليست العالم ضد العراق ، بل الغرب ضد الإسلام) .وقد دعا آية الله (علي خامنئي) إلى حرب مقدسة ضد الغرب متجاهلا الخصومة بين العراق وإيران ."٥٣"

ويعطي "هنتغتون" هذا المثال لكي يؤكد على ضعف تأثير الاختلاف في القومية واستفحال الروابط الدينية لمواجهة الخطر القادم من الغرب .

ومن الجدير بالملاحظة هو أن"هنتغتون"لا يستعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات إلا بالنسبة للإسلام وحده،أما الحضارات الأخرى فانه ينسبها إلى شيء آخرغير الدين "٥٤"

ويفسر"هنتغتون" الأسباب التي زادت من الصراع بين (الإسلام والغرب) في أواخر القرن العشرين إلى مجموعة متشابهه من العوامل أهمها :"٥٥".

١-النمو السكاني الإسلامي الذي خلف أعدادا كبيرة من الشبان العاطلين والساخطين ، الذين أصبحوا محبذين للقضايا الإسلامية .

2-الصحوة الإسلامية التي أعطت ثقة متجددة للمسلمين في طبيعة وقدرة حضاراتهم وقيمهم المتميزة مقارنة بتلك التي لدى الغرب .

3- جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من اجل المحافظة على تفوقه العسكري والاقتصادي ، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي أنتج استياءاً شديداً بين المسلمين .

٤-انهيار الاتحاد السوفيتي الذي يمثل العدو المشترك للغرب والإسلام ترك كل واحد يرى الآخر مصدر تهديد له.

٥-الاحتكاك والامتزاج بين المسلمين والغربيين يثير في كلا الجانبين إحساسا بهويته الخاصة ، وكيف أنها مختلفة عن هوية الآخر .

ويرى "هنتغتون" بان العداء الإسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من (خطر الإسلام) المتمثل بالتطرف ، إنهم ينظرون إلى الإسلام كمصدر للانتشار النووي والإرهاب والى المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في اوربا . "٥٦"

ويصف العلاقة مابين الإسلام والغرب بأنها حالة (شبه حرب حضارية بين الإسلام والغرب !!) ، وهي شبه حرب لعدة أسباب أهمها كما يرى "هنتغتون":"٥٧"

١-لم يكن كل الإسلام يحارب كل الغرب ، دولتان اصوليتان (إيران والسودان) وثلاث دول غير أصولية (العراق ، ليبيا ، سوريا) بالإضافة إلى عدد كبير من المنظمات الإسلامية .

٢-هي شبه حرب لأنها – بصرف النظر عن حرب الخليج الثانية – كانت تتم بوسائل محدودة ، الإرهاب في جانب ، القوة الجوية والعمل السري ، العقوبات الاقتصادية في الجانب الآخر .

٣-هي شبه حرب لان العنف رغم تواصله إلا انه لم يكن بشكل مستمر كان يتضمن أعمالا متقطعة من جانب ، تثير ردودا من جانب آخر.

ويرى أيضا بان المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام ، فهو حضارة مختلفة ، شعبها مقتنع بتطور ثقافته وهاجسه ضالة قوته، المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات الأمريكية ولا وزارة الدفاع ، المشكلة هي الغرب حضارة مختلفة شعوبها مقتنعة بعالمية ثقافتها ويعتقد ان قوته المتفوقة تفرض عليه التزامه بنشر هذه الثقافة في العالم .هذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب ."٥٨"

ولو سلمنا جدلا بما يطرحه "هنتغتون" لوجدنا العلاقات الدولية تنحصر فقط داخل الحضارة الواحدة وتكون العلاقات بين الحضارات المختلفة هي علاقات حرب وعنف !! وهذا في الحقيقة خلافا لما وجدناه في تاريخ العلاقات الدولية إذ العلاقات بين الحضارات بصورة عامة والعلاقة بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية الغربية بصورة خاصة اتصفت تارة بالتوتر، واخرى بالتنافس ، وثالثة بالتعاون ، وهذه هو حال العلاقات الدولية في مجتمعنا الدولي المعاصر ،

ويطرح "هنتغتون" سؤالا هو لماذا والقرن العشرين يوشك على الانتهاء نجد إن المسلمين هم الأكثر تورطا لمزيد من العنف بين الجماعات من شعوب الحضارات الأخرى ؟ ويجيب على ذلك بالتفسيرات الآتية : "٥٩"

١- هناك محاجة إن الإسلام كان دينا للسيف منذ البداية ، وانه يمجد فضائله للقتالية ، الإسلام نشا في بيئة عنيفة وهذه النشأة مطبوعة في أساس

الإسلام(الحرب ضد الكفرة؟) ، يذكر عن (محمد) نفسه كان مقاتلا عنيفا وقائدا عسكريا ماهرا ، ان القران وغيره من الإفادات في المعتقدات الإسلامية يحوي القليل مما يحض على تحريم العنف ، كما أن مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلامية !! ..

٢- انتشار الإسلام عبر شمال أفريقيا ومعظم الشرق الأوسط ، وفيما بعد إلى آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية ، وضع المسلمين في احتكاك مباشر مع شعوب كثيرة ومختلفة هزمت وتحولت إلى إسلام ويظل ميراث هذه العملية موجودا .

٣- طبيعة المجتمعات المسلمة، فالبلاد المسلمة لديها مشاكل مع الأقليات غير المسلمة مقارنة بتلك التي ليست مسلمة مع الأقليات المسيحية وما يترتب على ذلك من رؤى مختلفة."٦٠"

٤- وأكثر الأسباب أهمية - حسب رأي "هنتغتون" – لتزايد العنف الاسلامي هو الانفجار الديموغرافي في المجتمعات الإسلامية ووجود عدد كبير من الشبان الذكور بين (١٥-٣٠) سنة والعاطلين غالبا عن العمل ، هذه البطالة مصدر طبيعي لعدم الاستقرار والعنف سواء داخل الإسلام أو ضد غير المسلمين. ويضيف (هذا العامل وحده قد يصمد طويلا لتفسير العنف الإسلامي في فترة الثمانينات والتسعينات)."٦١".

هناك عوامل أخرى طرحها "هنتغتون" ذهب إلى أنها يمكن أن تفسر ميل المسلمين للعنف خلال أواخر القرن العشرين،وهي (المسلمون كضحايا للامبريالية الغربية)(الذي يطرحه المسلمون)، ويرى "هنتغتون" بان هذا العامل لا يفسر الصراعات بين الاغلبيات المسلمة والأقليات غير المسلمة في العديد من البلدان مثل (السودان ومصر وإيران واندونيسيا....الخ) وغياب وجود دولة أساسية أو أكثر من دولة أساسية، وهذا العامل حسب رأي "هنتغتون" يفسر الصراع الداخلي والخارجي ،وان الدول التي تتطلع لقيادة العالم الاسلامي :المملكة العربية السعودية وإيران وباكستان وتركيا واندونيسيا ، تتنافس للتأثير في العالم الاسلامي وليس هناك واحدة منها في موقف تستطيع من خلاله تسوية الصراعات بين المجتمعات الإسلامية،كذلك لا يوجد واحدة منها تستطيع أن تتصرف سلطويا نيابة عن المسلمين في التعامل مع الصراعات بين الجماعات الإسلامية وغير الإسلامية.

ولنناقش قليلا ما طرحه هنا "هنتغتون" ، بالنسبة إلى السبب الأول لتفسير (العنف الإسلامي) ، فان الإسلام في بداية دعوته لم يكن عن

طريق السيف وإنما عن طريق الدعوة والإرشاد ، وأصحاب الدعوة كانوا من المستضعفين في البيئة التي نشأ بها الإسلام ،هذا من جانب ومن جانب آخر فان الرسول محمد (صل الله عليه واله) لو كان عنيفا لما استطاع ان يحشد الناس إلى جانبه ولكان غني عن حشد الناس لأنه ،(مقاتل عنيف) – حسب ما وصفه "هنتغتون" – وكان يستطيع أن يقهر الأقوياء فيخشاه الضعفاء وهذا في الحقيقة جهلا واضحا في تعاليم الإسلام ومصادره وشخصياته !! لا نجد له أي تبرير سوى محاولة تغيير الحقائق والتأكيد على ما يسند حججه ليس إلا .

وأما ما يخص القران وغيره من المعتقدات الإسلامية والفكر وممارساته الإسلامية، فانه نظر إليهن من أضيق زاوية وسخر المعلومات التي يحتاجها إلى سند طرحه فقط بعيدا عن الموضوعية الحيادية .

وبالنسبة إلى السبب الثاني ، فان التاريخ يخبرنا بان بلدان آسيا انتشر فيها الإسلام ليس عن طريق الفتوحات بل عن طريق الدعاة الإسلاميين .

ويطرح "هنتغتون" فكرة تتلخص في أن علاقات الإسلام وتوجهاته العدائية ليست تجاه الغرب فقط ، بل تجاه الحضارات الأخرى إذ (أن للإسلام حدود دموية) ."٦٢" (نجد أن الصراع الرئيسي بين الحضارات هو ذلك القائم بين العرب والباقي بينما على المستوى الأصغر والمحلي ، نجد أن الصراع القائم هو صراع بين الإسلام والآخرين) ."٦٣" . ويبرر وجهة نظره بان (للإسلام حدود دموية) من خلال إحصائية عن الصراعات في الفترة من عام (١٩٩٣-١٩٩٤) تتلخص في أن تلك الفترة شهدت (٥٠) صراعا اثنياً ،كان المسلمون طرفا في (٢٦) نزاع ، (٢٠) منها بين مسلمين وأتباع حضارات أخرى ."٦٤"

وفي سياق دفاعه عن أطروحته يعتقد "هنتغتون" إن ما يهم الناس في نهاية المطاف ليس هو الايديولوجيا أو المصالح الاقتصادية بل الإيمان والدم والعقيدة فذلك ما يجمع الناس وما يحاربون من اجله ويموتون في سبيله، وهذا هو السبب في ان صدام الحضارات يحل محل الحرب الباردة ."٦٥" .

"هنتغتون" ذهب إلى أن الدين يصنع الحرب،وهذا خطا لان الأديان لا تخلق الحروب بل قد تستخدم الأديان من قبل السياسيين وهؤلاء يصنعون الحروب.

الحضارة الإسلامية ليست عدوانية بطبيعتها والإسلام لا يحمل العدوان للحضارات الأخرى إلا أنها قد توضف لتبرير السياسة،وما ذهب

إليه"هنتغتون" من أن الصراع بين أرمينيا (السوفيتية سابقا) وبين أذربيجان(الجمهورية السوفيتية السابقة أيضا) هو صراع حضاري ،هو فهم خاطيء فإيران الإسلامية انحازت إلى أرمينيا المسيحية.

في المشكلة اليوغسلافية وظف الدين لأغراض سياسية لتدمير الدولة اليوغسلافية الاتحادية لحساب قوى أجنبية. وهناك فرق بين الصراع الديني وصراع يستخدم فيه الدين بشكل مقصود.كانت الأزمة اليوغسلافية بنظر "هنتغتون" دليل على عدم تعايش الإسلام مع الأديان الأخرى ،وهي في الحقيقة لم تكن حربا بطبيعة دينية ولا عرقية بل هي صراع سياسي على السلطة استخدمت فيه كل الوسائل ومنها الدين.

زعم"هنتغتون" بان المسلمين ولعين بالعنف وهذا من حقائق القرن العشرين وأراد الربط تاريخيا بين الإرهاب والهوية الحضارية الإسلامية وهذا خطا لان ليس هناك علاقة من هذا القبيل.

لم يخترع المسلمون الإرهاب فالعنف مثلا في بورما وسيريلانكا وغيرها لا علاقة له بالإسلام ،والأقليات عوملت بكل احترام ومساواة في البلاد الإسلامية لان الإسلام أمر باحترام غير المسلمين منذ البداية الأولى له ،ولم يكن المسلمون هم من قتل اليهود في أوربا في الحرب العالمية الثانية ،وما قد يظهر من تصادم مع أقليات لا علاقة له بالهوية الحضارية الإسلامية بل بأزمات أخرى أهمها الاقتصاد، كما هو حال الأقلية الصينية التي تسيطر على الاقتصاد الاندونيسي ، كذلك فان (هتلر) قتل بحدود(١٧) مليون نسمة ، وفي عهد ستالين قتل الى ما وصل عدده (٢٠) مليون نسمة ،وهناك آخرون فأين الإسلام من هؤلاء؟؟؟ .(١٦٧) مليون نسمة قتلوا في القرن العشرين ومعظمهم مسؤولية الحضارة الغربية وليس الإسلام، ليس هناك صراعات بين المسلمين والآخرين على خلفية الاختلافات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

إن المسار الذي سلكه داعية (صدام الحضارات) منذ المقدمة التي قدم فيها فرضيته إلى الخاتمة التي كشف فيها عن أوراقه ، وضعنا أمام نص غريب يدعو الغرب إلى التدبير والاحتراز للدفاع عن مركزة ومصالحه . ونجد أيضا من خلال قراءة معمقة لأفكار الأطروحة تبين أنها في الواقع محاولة لتفسير وفهم الاضطرابات والفوضى المتصاعدة التي يفرضها عالم ما بعد الحرب الباردة ، لذلك فهي توجه أنظار الغرب إلى تهديد استراتيجي

جديد لموقعه القيادي اقتصاديا ، ثقافيا ، وعسكريا وفي هذا السياق تركيز واضح على الإسلام من خلال تضخيم تهديده وتصويره كدين دموي عنيف.

ويرى " محمد عابد الجابري" إن خطورة أطروحة " صدام الحضارات " في بؤرة وقلب الأطروحة (الإسلام) بالدرجة الأولى الذي هو اليوم في نظر الغرب- الذي يتكلم باسمه هنتغتون – (العدو رقم واحد) إن لم يكن اليوم فسيكون غدا ، بل انه كذلك أمس واليوم وغدا ."٦٦"

ولو فرضنا جدلا أن المستقبل هو حرب بين الحضارات فهو إذن مستقبل الحرب الدائمة التي لانهاية لها ، أي حرب إبادة ، وهذا منطق ضد صيرورة التاريخ وضد الوجود الإنساني ."٦٧"

يمكن القول مما تقدم إن أطروحة (صدام الحضارات) حاولت تفسير واقع المجتمعات داخل الحضارة الواحدة وعكس هذا الواقع في التأثير على مستقبل العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة ولفت أنظار الغرب بصورة عامة إلى الإسلام كخطر يهدد وجوده وكيانه ومصالحه ، وقدمت من اجل دعم فرضياتها أمثلة ونماذج من خلال قراءة انتقائية سطحية للتاريخ السياسي والإنساني الإسلامي ، ومن جانب آخر حاولت أن تفسر العلاقة ما بين الإسلام والغرب على أنها علاقة تصارعية على طول امتدادها ، وهذا خلاف للواقع لأنها علاقات لها أوجه عديدة من التعاون.

كذلك – وهو الأهم- إن أطروحة (صدام الحضارات) تحاول تفسير المدركات الحسية على مستوى الرأي العام داخل الحضارات وليس على مستوى النخبة السياسية التي تنظر إلى العلاقات الدولية من منظار المصلحة وليس من منظار الدين أو الثقافة على الرغم من دورهما في العلاقات الدولية ، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تطغى العوامل الثقافية والدينية على العوامل المصلحية، وهذا ما يفسر لنا استمرارية العلاقات بين دول غربية ودول إسلامية .

الخاتمة

شكل الإسلام السياسي في التصورات التي يحملها صناع القرار في السياسة الأمريكية هاجسا يطغى عليه الخوف والارتباك من الإسلام في كونه (الخطر الأخضر الجديد) الذي حل محل (الخطر الأحمر الشيوعي) ، وكان هذا الهاجس مستندا إلى خلفية ثقافية تاريخية ساهمت بشكل غير مباشر في تصوير الإسلام على انه الخطر الجديد الذي يجب على الولايات المتحدة توفير كل الطاقات لمواجهته .

وظهرت بعد الحرب الباردة أطروحات عديدة حاولت أن تفسر مستقبل العلاقات الدولية بعد هذه الحرب وأرادت الحفاظ على هذا التفوق الغربي والنجاح الذي حققه في هزم الشيوعية وتعميم النمط الرأسمالي الليبرالي الغربي ، وكانت أطروحتي (نهاية التاريخ) و (صدام الحضارات) من أشهر ما طرح لتفسير العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة ، وكانتا تسيران في اتجاهين مختلفين : الأول تفاؤلي (نهاية التاريخ) والذي يرى بان التاريخ سوف يتوقف عند مرحلة تمثل انتصار الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية للغرب على غيرها من الإيديولوجيات على الساحة العالمية ، والثاني : تشاؤمي (صدام الحضارات) والذي يرى بان الحضارة الغربية سوف تصطدم مع الحضارات التي تهددها وبالأخص الحضارة الإسلامية ، ولكن النهاية سوف تكون في مصلحة الحضارة الغربية التي تتفوق ثقافيا وعسكريا على الحضارة الإسلامية .

وخلاصة ما تقدم تبين بان الإيديولوجية التي يتبناها صناع القرار في السياسة الأمريكية هي انعكاس للنظرة الأمريكية العامة التي ترى بان الإسلام يشكل تهديدا للمصالح الغربية بصورة عامة والمصالح الأمريكية بصورة خاصة .

الهوامش

١- احمد القبانجي،الاسلام المدني(معالجة لاشكالية الجمع بين النص والعقل والواقع)،بغداد،موءسسة مصر مرتضى ،٢٠٠٩،ص١٩٠.
٢- احمد حسين حسن،الجماعات السياسية الاسلامية والمجتمع المدني،القاهرة'الدار الثقافية للنشر،٢٠٠٠،ص٢٥-٢٦.
٣- فكرت رفيق شفيق،الاصولية الاسلامية(دراسة نظرية)،اطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد،١٩٩٨،ص٣٧.
٤- رعد عبد الجليل مصطفى ، الاسلام السياسي ، ازمات التنمية والتحديث في اقطار الشرق الاوسط ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ٦ .
٥- كاره كويجهنام و د. حسن عبد الله جوهر ، الاصولية الاسلامية ونظرية الدومينو ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٢٥ ، السنة ١٩٩٦ ، ص ١٠ .
٦- فواز جرجيس ، امريكا والاسلام السياسي : صدام الثقافات او صدام المصالح ، ترجمة غسان غصن ، دار النهار للنشر ، ١٩٩٨ ، ص ٢٥١ .
٧- مثنى علي حسين ، السياسة الامريكية حيال الحركات الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ص ٨.
٨- زبغنيو بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى ، ترجمة امل الشرقي ، دار الاهلية للنشر ، عمان ١٩٩٩ ، ص ٣٩ .
٩- حسن الحاج علي احمد ، افغانستان التحول من الجيوستراتيجي للجيوثقافي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٦، السنة ٢٤، ٢٠٠٢ ، ص١٧٢ .
١٠- عصام نعمان ، امريكا والاسلام : مشكلة علاقة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٧.
١١- نضام شرابي ، امريكا والعرب ، السياسة الامريكية في الوطن العربي في القرن العشرين ، دار رياض الربس للنشر ، لندن ١٩٩٠ ، ص ٦٩ .
١٢- فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧ .
١٣- المصدر نفسه ، ص ٢٧ .
١٤- المصدر نفسه ، ص ٢٧
١٥- المصدر نفسه ص ٢٥ .
١٦- اياد القزاز ، صورة العرب والاسلام في كتب علم الاجتماع الامريكية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٢ ، ص ١-٢ .
١٧- عبد القادر محمد فهمي ، مكانة الاسلام والمسلمين في الادراك السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، العدد ١٩ ، السنة ٩ ،١٩٩٣ ، ص ٤٢ .
١٨- عبد الله نقرش وعبد الله حميد الدين ، السلوك الامريكي بعد ١١/ ايلول /٢٠٠١ ، مجلة المستقبل العربي ، السنة ٢٥ ، العدد ٢٧٦ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦ .
١٩- فواز جرجيس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢ .
20- Samuel P.Huntington: the eriosion of American national interestforeign affairs , Vol 76 , No5 ,September-october.1997 ,p.30

21- Ghassan Salama : Islam and the west , foreign policy , No 90,Spring1993
٢٢- ثناء فؤاد عبد الله ، اشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في اطار متغيرات العالم الجديد ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٦٧ ، السنة ١٥ ، ١٩٩٣ ، ص ٦٠ .
٢٣- المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
٢٤- فواز جرجيس : السياسة الامريكية اتجاه العرب ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط٢ ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٢ .
٢٥- فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والرجل الاخير ، ترجمة وتعليق د. حسن الشيخ ، بيروت دار العلوم العربية ، ١٩٩٣ ، ص ١٥
٢٦- المصدر نفسه ، ١٦ .
٢٧- هاجر مالك حميد ، الايديولوجية والوضع الدولي الجديد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ١٠٨ .
٢٨- ناظم عبد الواحد الجاسور ، الفكر السياسي الامريكي المعاصر ، ابو ظبي ، مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، ٢٠٠٣ ، ص٢٤ .
٢٩- المصدر نفسه ، ص٢٤ .
٣٠- برهان غليون ، الوطن العربي امام تحديات القرن العشرين ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٣٢ ، السنة ٢١ ، حزيران ١٩٩٨، ص.٩
٣١- ناظم عبد الواحد الجاسور ، مصدر سبق ذكره ص ٢٥ .
٣٢- فرانسيس فوكوياما ، مصدر سبق ذكره ص٦١ .
٣٣- المصدر نفسه ، ص٦١.
٣٤- المصدر نفسه ، ص٦١.
٣٥- المصدر نفسه ، ص٦١.
٣٦- المصدر نفسه ، ص٦٢.
٣٧- المصدر نفسه ، ص٦٢.
٣٨- المصدر نفسه ، ص٦٢.
٣٩- المصدر نفسه ، ص٦٢.
٤٠- المصدر نفسه ، ص١٠٠.
٤١- المصدر نفسه ، ص١٠٥.
٤٢- المصدر نفسه ، ص٢٤٥.
٤٣- عبد الجبار ناجي ، فلسفة التاريخ والموقف من النهاية الحتمية للحضارات ، دراسات فلسفية ، بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٣ ، السنة ٤ ، ٢٠٠٢ ، ص ٧١ .

(*) سورة البقرة، الاية(٢١٩).
(**) سورة العنكبوت،الاية(٢٠).
(***) سورة محمد، الاية(٢٤).
(****) سورة البقرة، الاية (٢٥٦).
(*****) سورة الغاشية،الاية (٢٢).
(******) سورة ق ،الاية (٤٥).
(*******) سورة البقرة، الاية(١١١).

٤٤- فرانسيس فوكوياما ، هدفهم العالم المعاصر ، ترجمة مجلة الحكمة ، بغداد ، العدد ٢٦ ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٥ .
٤٥- محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحده العربية ، ١٩٩٧ ، ص ٨٤ .
٤٦- صاموئيل هنتغتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩ .
47- Samuel p.Huntington : the clash of civilizations,foreign affairs ,vol72, NO3,summer 1993,p22.
48- Samuel p.Huntington : OP .Cit,p.22-23.
49- Ibid,p.24-25
٥٠- ناظم عبد الواحد الجاسور، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧.
51- Samuel p.Huntington : the erosion of American National interests ,OP.Cit,p.31.
٥٢- محمد سعدي ، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٣٦ ، لسنة ٢١ ، ١٩٩٨ ، ص٦٧ .
٥٣- ناظم عبد الواحد الجاسور ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٦-٣٧.
54- Samuel p.Huntington : the clash of civilizations,OP .Cit.p.35
٥٥- محمد عابد الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٣ .
٥٦- صاموئيل هنتغتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩ .
٥٧- المصدر نفسه ، ص ٣٤٨.
٥٨- المصدر نفسه ، ص ٣٤٩-٣٥٠.
٥٩- المصدر نفسه ، ص ٣٥٢.
٦٠- المصدر نفسه ، ص ٤٢٦-٤٢٧.
٦١- المصدر نفسه ، ص ٤٢٨.
٦٢- المصدر نفسه ، ص ٤٣٠.
٦٣- المصدر نفسه ، ص ٤١٣.
٦٤- المصدر نفسه ، ص ٤١٤.
٦٥- المصدر نفسه ، ص ٤١٦.
66- Samuel p.Huntington : if not civilizations, what to be , foreign affairs, Vol 72,NO5,1993,p,40
٦٧- محمد عابد الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٦-١٢٧.
٦٨- ناظم عبد الواحد الجاسور ، الحضارات صدام ام حوار ؟ مجلة المحكمة ، بيت الحكمة بغداد، العدد ٢٧ ، حزيران ٢٠٠٢ ، ص٩١.

المصادر

اولاً :القران الكريم

ثانيا: الكتب

١- احمد القبانجي،الاسلام المدني(معالجة لاشكالية الجمع بين النص والعقل والواقع)، بغداد مؤسسة مصر مرتضى ،٢٠٠٩.

٢- احمد حسين حسن،الجماعات السياسية الاسلامية والمجتمع المدني،القاهرة'الدار الثقافية للنشر،٢٠٠٠.

٣- زبغنيو بريجنكسي ، رقعة الشطرنج الكبرى ، ترجمة امل الشرقي ، دار الاهلية للنشر ، عمان ، ١٩٩٩ .

٤- صاموئيل هنتغتون ، صدام الحضارات ... اعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د. صلاح قنصوة ، مركز الدراسات الستراتيجية ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

٥- فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والرجل الاخير ، ترجمة وتعليق : د . حسن الشيخ بيروت ، دار العلوم العربية ، ١٩٩٣ .

٦- فواز جرجيس ، امريكا والاسلام السياسي : صدام الثقافات ام صدام المصالح ، ترجمة غسان غصن ، دار النهار للنشر ، ١٩٩٨ .

٧- فواز جرجيس ، السياسة الامريكية تجاه العرب ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

٨- محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٧ .

٩- ناظم عبد الواحد الجاسور ، الحضارات صدام ام حوار ؟ مجلة الحكمة ، بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٢٧ ، حزيران ، ٢٠٠٢ .

١٠- هشام شرابي، امريكا والعرب ، السياسة الامريكية في الوطن العربي في القرن العشرين ، لندن ، دار رياض الريس للكتب ، ١٩٩٠ .

ثالثاً :الرسائل والاطاريح الجامعية

١- رعد عبد الجليل مصطفى ، الاسلام السياسي : ازمات التنمية والتحديث في اقطار الشرق الاوسط ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥.

٢- فكرت رفيق شفيق،الاصولية الاسلامية(دراسة نظرية)،اطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد،١٩٩٨.

٣- مثنى علي حسين ، السياسة الامريكية حيال الحركات الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠.

٤- هاجر مالك حميد ، الأيديولوجية والوضع الدولي الجديد رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .

رابعا : الدوريات

الدوريات العربية :

١- اياد القزاز ، صورة العرب والاسلام ، في كتب علم الاجتماع الامريكية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٢
٢- برهان غليون ، الوطن العربي امام تحديات القرن العشرين ، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٣٢ ، السنة ٢١، حزيران ١٩٩٨ .
٣- ثناء فؤاد عبد الله ، اشكالية التفاعل والحوار الحضاري ، العرب والحضارة الغربية في اطار متغيرات العالم الجديد ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٦٨ ، السنة ١٥ ، ١٩٩٣ .
٤- حسن الحاج علي احمد : افغانستان التحول الجيوستراتيجي للجيوثقافي ، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٧٦ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٢ .
٥- عبد الجبار ناجي فلسفة التاريخ والموقف من النهاية الحتمية للحضارات ، دراسات فلسفية ، بيت الحكمة ، بغداد العدد ٣ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٠.
٦- عبد القادر محمد فهمي ، مكانة الاسلام والمسلمين في الادراك السياسي والاستراتيجي للولايا ت المتحدة ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، العدد ١٩ ، السنة ٩ ، ١٩٩٣ .
٧- عبد الله نقرش وعبد الله حميد الدين ، السلوك الامريكي بعدد ١١ / ايلول /٢٠٠١ ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٦ ، السنة ٢٥، ٢٠٠٢ .
٨- عصام نعمان ، امريكا والاسلام ، مشكلة علاقة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٨٧ ، السنة ٢٤ ، ٢٠٠٢ .
٩- كاره كويجهنام ، و د . حسن عبد الله جوهر ، الاصولية الاسلامية ونظرية الدومينو ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٢٥ ، السنة ١٩٩٦
١٠- فرانسيس فوكوياما ، هدفهم العالم المعاصر ، ترجمة مجلة الحكمة ، بغداد ، العدد ٢٦ ، ٢٠٠٢ .
١١- محمد سعدي ، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٣٦ ، لسنة ٢١ ، ١٩٩٨ .
١٢- ناظم عبد الواحد الجاسور ، الفكر السياسي الامريكي المعاصر ، ابو ظبي ، مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، ٢٠٠٣ .

أ- الدوريات الاجنبية :

1- Ghassan salama: islam and the west . foreign policy . NO 90, spring 1993 .
2- Samuel p.Huntington : the clash of civilizations ? , foreign affairs, vol 72 , NO 3, Summer 1993 .
3- Samuel p.Huntington , if not civilizations , what to be ? , foreign affairs , Vol72 NO5,1993.
4- Samuel p.Huntington : the erosion of American National interests , foreign affairs, VOL 76 ,NO 5 , 1997 .